عندما دخل احد صهاريج الماء الى منطقة العبيدي اجتمع الأهالي حوله وبدأوا يتوافدون فيما بينهم للحصول على الماء ، حاملين أوانيهم بينما كان صاحب الصهريج يطالبهم بتنظيم أنفسهم والوقوف بالدور لكن من دون ان تلقى نداءته أية استجابة.. فالرجال والأطفال والنسوة انشغلوا في صراع للحصول على الماء.. فأي تنظيم وأي دور ، وأي دعوة للنظام ، إزاء العطش ، وإزاء الإحساس بالعطش ؟!

شحـــــة الميـــــاه وتـلوثهـــــا حكايـــــة كـل صيـــف !

اياد عطية الخالدي

مفارقة تدعو للدهشة!

مع اطلالة كل صيف تتجدد أزمة شحة المياه وتعود المأساة والمعاناة لتضيف هماً آخر لهموم المواطن العراقي، وحينما يصل الأمر الى ان تستغيث طفلة او طفل من العطش فلا يجد الماء، وعندما تتكرر مشاهد الأطفال والنسوة وهم يحملون الأواني ويقطعون المسافات بحثاً عن الماء، لايمكن لأحد ان يتجاهل هذه المعاناة التي ظلت لسنوات طويلة بلا حلول، ولعلها مفارقة تدعو للدهشة والاستغراب ان يشكو أهل الرافدين من العطش وبلادهم يخترقها نهران عظيمان كما يقول معاون مدير عام دائرة ماء بغداد السيد هاشم حسن خضر، فلازمة شحة المياه كما لكل الأزمات جذور وأسباب.

وقبل ان نعرف جذور الأزمة وأسبابها بحسب دائرة ماء بغداد، قامت (المدى) بجولة في مناطق بغداد التي وصلت فيها ازمة شحة المياه الى ما يشبه المأساة أحالت حياة الناس الى كابوس وهم وقلق يومي.

صراع مرير

الحاجة خيرية التي كانت تنتظر مع جاراتها مجيء السيارة الحوضية التي تزود منطقة النهروان بالماء منذ الصباح، خسرت جولة الصراع مع عدد من مواطني المنطقة بعد ان اعلن سائق السيارة بان شحنة الماء انتهت من دون ان تتمكن من الحصول على قطرة ماء، وكادت تعود بخفي حُنين لولا ان جارتها انقذتها واقتسمت معها ما حصلت عليه بعد تدافع وصراع مريرين..

تقول الحاجة خيرية: لولا ان جارتي ام محسن اقتسمت معي كمية الماء الذي حصلت عليه بشق الأنفس لكان حالنا هذا اليوم حالا لا نحسد عليه!

وأضافت: ومع تفاقم شحة المياه، تضطر العوائل في منطقتنا الى تفرغ احد أفرادها لانتظار (تنكرات) الماء او البحث عن وسيلة أخرى للحصول على الماء، ومنها الذهاب الى مناطق أخرى في بغداد من اجل الحصول على كمية كافية لماء الشرب فقط.

اما الحاج حسن خلف فتحدث لنا قائلا: يصل الى منطقتنا عدد من (تنكرات) الماء وترسلها منظمات إنسانية او من أمانة بغداد، لكنها لا تكفي لسد حاجة السكان، لذلك فهم يضطرون لشراء الماء من اصحاب (التنكرات) الذين يعمدان الى رفع أسعار الماء مستغلين حاجة المواطنين ومعاناتهم من شحة المياه.

وفي منطقة جسر ديالى تتكرر صور المعاناة للحصول على الماء، وقد اضطرت العوائل الى عمل حفر عميقة للحصول على الماء من الأنبوب الرئيس، وعندما سألنا احد مواطني المنطقة عن الأسباب التي دعته الى هذه الحفر قال: ماذا نفعل ؟ فالماء لا يصل الى منازلنا لان هناك من يتجاوز على شبكة المياه ويقوم بثقب الأنابيب مما يمنع وصول الماء الينا، وبعض هؤلاء الأشخاص يستخدمون المضخات للحصول على الماء من الشبكة التي تعاني تكسرات وتجاوزات عديدة.

مدينة الصدر معاناة حقيقية

تعيش مدينة الصدر ذات الكثافة السكانية العائلية أزمة حقيقية في شحة المياه وتلوثها، أحياء بكاملها تعاني من انقطاع الماء لايام متواصلة تجبر السكان على اللجوء الى شراء الماء من اصحاب السيارات الحوضية، كما انتشرت في هذه المدينة الامراض بسبب التلوث البكتريولوجي للمياه.

وقد شخصت وزارة البيئة تلوث المياه وقامت بتحذير سكان المنطقة كما قامت بتزويدهم بكميات كبيرة من الماء الصالح للشرب.

يقول الدكتور مؤيد بشير حامد اخصائي امراض الباطنية، ان العديد من الامراض التي يتم تشخيصها تعزى الى تلوث المياه، ولعل مرض التهاب الكبد الفايروسي هو من اخطر الامراض التي نتجت عن تلوث مياه الشرب في عدد من مناطق بغداد ومنها مدينة جسر ديالى ومدينة الصدر. حيث تم نقل العديد من الحالات الى المستشفيات.

مصائب قوم عند قوم فوائد

إذا كان انقطاع التيار الكهربائي هو مأساة عند جميع الناس، فانه غدا رحمة عند اخرين.. تقول المواطنة سناء شريف من سكنة بوب الشام: ان الماء لم يصل منازلنا منذ ثلاثة ايام متوالية لان المنطقة تعاني من شحة في مياه الشرب، كما ان هناك من يستخدم المضخات لسحب المياه، وهذا يؤدي الى حرماننا من وصول الماء، وصرنا نفرح وننتظر انقطاع الكهرباء كي يتسنى لنا الحصول على كمية من المياه تكفينا لبضعة أيام، حتى اننا لا نترك اناءً فارغاً الا وملأناه بالمياه تحسباً للانقطاع الذي قد يطول احياناً لمدة طويلة قد تصل الى أكثر من أسبوع.

ويبدو ان أزمة شحة المياه قد أنعشت تجارة المضخات وصار سكان العديد من مناطق بغداد لا يستغنون عنها، وتتحدث المواطنة سليمة مهدي من منطقة الحرية عن معاناة سكان منطقتها في عدم الحصول على كميات كافية من المياه، وتقول صار البعض من الاهالي يتجاوز على شبكة المياه من دون رادع او خوف ومن دون مراعاة لحاجة الآخرين.

أين العدالة ؟!

ويطرح المواطن رشيد حميد قضية أخرى ولدت من رحم أزمة شحة المياه وتخص عملية توزيع المياه بين سكان مدينة بغداد ويقول: ليست هناك عدالة في توزيع المياه، فبينما يحصل سكان مناطق مثل الاعظمية والكرادة والمنصور على كمية كافية وتزيد عن حاجتهم من المياه، لا يحصل سكان مناطق اخرى، ولاسيما المناطق الشعبية، مثل العبيدي، الشعلة، النهروان ، مدينة الصدر، بوب الشام على كمية تكفي لحاجتهم ولا تتناسب مع عدد سكانهم، ويعتقد رشيد ان امانة بغداد تتحمل مسؤولية هذا التوزيع غير العادل .غير ان امانة بغداد وعلى لسان معاون مدير ماء بغداد، ومع اعترافها بعدم وجود عدالة في توزيع الماء، تنفي ان يكون هذا الأمر متعمداً، وانما يعود لأسباب فنية تتعلق بشبكة توزيع المياه، وقدمها وتكسرها في المناطق التي لا تحصل على كمية كافية من المياه.

تجاوزات

الماء مثل الكهرباء ومثل غيره قد يسرق ايضاً والا فماذا نسمي تجاوزات البعض على شبكة المياه؟ وماذا نسمي أصحاب المشاتل والبساتين الذين يتجاوزون على الماء الصافي ويقومون بسقي شتلاتهم ومغروساتهم بالماء الصافي، غير المخصص لهذا النوع من الاستخدام، وماذا نسمي أصحاب معارض السيارات وكراجات غسلها الذين يقومون بهدر المياه لغسل السيارات ليل نهار بالماء الصافي فيما هناك عوائل تحتاج الى هذه المياه.. انا لا أستطيع ان اسمي هذه الحالة الا بالسرقة، لان هدرا على هذا النحو وبلا مراعاة لحقوق الآخرين وحاجتهم يعد سرقة لحصتهم من المياه الصالحة للشرب.

لكن الحاج علي صاحب مشتل في شارع فلسطين له وجهة نظر اخرى يقول: هذه المشاكل ماكانت لتحدث لو كانت هناك مشاريع وطنية لانتاج الماء الصالح للشرب كافية لسد احتياجات المواطنين، ويتساءل الحاج علي: ماذا عن الماء (الخابط) الذي يستخدم لسقي الحدائق والمشاتل؟ لماذا يقطع هذا الماء لفترات طويلة مما يجعل البعض يلجأ الى الماء الصافي لسقي شتلاتهم او حدائقهم، غير ان الحاج علي لا ينكر ان هناك من يسيء في ذلك لغياب الرقيب الذي كان لا يرحمنا ولا يرحمهم، ويقصد به (امانة بغداد) التي يحملها الحاج علي مسؤولية هذا الهدر الكبير لعدم وجود المتابعة.

فرقة الصيانة !

التكسرات التي تعاني منها الشبكة واحدة من أسباب الهدر الكبير للمياه الصالحة للشرب ولاسيما اذا ما طالت فترة اصلاح الكسور في أنابيب المياه الرئيسة كما في محلة ٣٠٤ في حي المغرب، فقد حولت هذه المياه عدداً من الشوارع الى بحيرات ومستنقع للمياه الآسنة، وهذا المنظر يتكرر في العديد من مناطق بغداد، وعلى سبيل المثال المنطقة المحيطة بالبانزين خانة في مدخل احد الشوارع الرئيسة في مدينة الصدر التي تحولت الى مستنقع للمياه الآسنة بسبب كسر في انبوب الماء الرئيس ما ادى الى طفح المجاري واختلاطها بمياه الانبوب من دون ان تقوم فرق الصيانة في بلدية الصدر غير البعيدة عن الشارع باصلاح هذا الانبوب الذي اغلقت مياهه الشوارع وأعاقت السير فيه.

ويقول المواطن محمد لطيف: انا لا افهم ماذا يفعل عمال وفنيو ومسؤولو بلدية الصدر، واين فرق الصيانة ولماذا لا تقوم هذه الدوائر البلدية بخدماتها؟

غير ان معاون مدير ماء بغداد السيد هاشم حسن يعزو تأخر اصلاح التكسرات الى كثرتها وتراكمها، وان قلة عدد فرق الصيانة يحول دون اصلاح جميع التكسرات بوقت مناسب، ولا يعتقد معاون مدير عام ماء بغداد بوجود أي نوع من التقصير للاجهزة البلدية التابعة الى مديرية بغداد ومنها فرق الصيانة !

جذور وأسباب

في الوقت الذي تمتلئ فيه الصحف باخبار الاعمار والمشاريع وارقام الاموال المرصدة لمشاريع البنية الاساسية والخدمية في العراق ومنها مشاريع انتاج المياه الصالحة للشرب وشبكات توزيعها، فان من حق المواطن العراقي ان يتساءل اين هذه المشاريع ومتى تنجز؟ وهل ستحل ازمة شحة المياه وهل ستتحسن نوعية الماء الذي يستهلكه المواطن العراقي او في الاقل هل ستنتهي حالات تلوث المياه؟

هذه الاسئلة وغيرها كانت مدار حوارنا مع السيد هاشم حسن خضر معاون مدير عام دائرة بغداد الذي شرح لنا جذور واسباب استمرار ازمة شحة المياه قائلاً: ان ازمة شحة المياه ليست جديدة او طارئة فهذه الازمة قديمة ومتراكمة، ويحتاج حلها الى سنوات عديدة، فمنذ عام ١٩٨٧ لم تشهد مدينة بغداد أي عمل او مشروع لزيادة انتاج الماء الصالح للشرب، كما ان شبكة توزيع المياه ظلت تعاني من القدم والتكسرات ولم تجر عليها عملية اصلاح جذرية .

حجم المشكلة

وعن حجم المشكلة وواقع انتاج الماء حالياً في بغداد: يقول معاون مدير ماء بغداد: ان الحاجة الفعلية لسكان بغداد من الماء الصالح للشرب تبلغ ٣٥٠٠ الف متر مكعب وان اقصى ما ننتجه في احسن الظروف يبلغ ٢٢٥٠ الف متر مكعب وهذا يعني ان الانتاج يغطي ما نسبته ٦٥٪ من حاجة سكان مدينة بغداد والنتيجة ان هناك نقصاً في حصة الفرد بسبب شحة المياه.

اين المشاريع ؟

وعن الاجراءات والمشاريع الحديثة التي قامت بها دائرة امانة بغداد لمعالجة او تخفيف ازمة شحة المياه قال معاون مدير دائرة ماء بغداد هاشم حسن خضر: هناك معالجات عبر مشاريع متوسطة وصغيرة ابرزها مشروع توسيع ماء شرق دجلة الذي يغذي جانب الرصافة ، إذ تقوم بعملية التوسيع شركة امريكية تحت اشراف دائرتنا والعمل الذي بدأ نهاية العام الماضي وصل الان مراحله الاخيرة ويتوقع انجازه خلال هذا العام بطاقة ٢٥٠ الف متر مكعب.

وفي مدينة الصدر تقوم احدى الشركات الامريكية بمشروع تمت المباشرة به مؤخراً لانتاج ٩٠ الف متر مكعب في اليوم ويتوقع عند اكماله ان يخفف من شحة المياه في مدينة الصدر..

في الوقت نفسه تجري مدينة الصدر حملة لتجديد شبكات الماء الصافي بدأت مطلع العام الحالي وانجز العمل في ٦ قطاعات والعملية مستمرة بالرغم من انها تجري بطريقة بطيئة، كما تمت المباشرة بانشاء ستة مجمعات صغيرة لانتاج الماء لتخفيف الازمة في عدد من المناطق التي تعاني من شحة مستمرة في المياه مثل حي جسر الجمهوري، زيونة، العماري وبوب الشام، وتقوم بالعمل شركة امريكية وشركات مساندة عراقية.

وهذه المشاريع حتى لو انجزت فانها لن تحل ازمة شحة المياه لكنها ستخفف منها بدرجة كبيرة.

ملف المياه بيد الامريكان

ويستشف من حديث معاون مدير ماء دائرة ماء بغداد بان جميع المشاريع التي يجري العمل فيها هي مشاريع امريكية تمويلاً وتنفيذاً .. طرحت هذا لسؤال امام معاون مدير دائرة بغداد الذي اكد ذلك واضاف: هذا صحيح فواقع الحال ان مشاريع انتاج الماء يقوم بها الجيش الامريكي وتنفذها شركات امريكية ويقتصر دورنا على ابداء الاستشارة والمتابعة، وليست لدينا ارقام او فكرة واضحة عن كيفية اختيار الشركات المنفذة لأن الجهات الامريكية لا تطلعنا على هذه التفاصيل وهي التي تتولى تنفيذها.

متخلفون في هذا المجال

ويقول معاون مدير دائرة بغداد: الواقع ان مشاريع انتاج الماء مكلفة ولا تمتلك مديريتنا القدرة على تنفيذها، بسبب تأخرنا عن اللحاق بالتطورات التكنولوجية التي وصلت اليها دول العالم . وليس بامكان أية شركة عراقية تنفيذ مشاريع ضخمة ومطابقة للمواصفات العالمية وبصراحة ان كوادرنا الفنية والهندسية متخلفة في هذا الميدان الحيوي، ونفتقر الى القدرات الفنية القادرة على النهوض في مجال مشاريع انتاج المياه، ونعمل الان على تطوير كوادرنا عبر زجها بين حين واخر في دورات فنية تقام خارج القطر برغم ان هذه الدورات لا تفي بالغرض لاننا متأخرون جداً في هذا المجال.

تلوث المياه

وعن تلوث المياه وحجم هذا التلوث قال معاون مدير دائرة بغداد، نعم هناك تلوث يحدث في عدد من المناطق لكننا كمديرية انتاج مياه لسنا مسؤولين عن هذا التلوث، فالماء المنتج في دائرة مشاريع ماء بغداد مطابق للمواصفات، وهناك رقابة وفحوصات مستمرة من الدوائر الصحية والبيئية على الماء المنتج، ولكن سبب التلوث يعود الى خلل في شبكات توزيع الماء، وقيام المواطنين بسحب الماء بواسطة المضخات، التي تقوم بسحب المياه الجوفية ومياه المجاري الى انابيب شبكة التوزيع، نتيجة التكسرات الموجودة في هذه الشبكة القديمة غير الصالحة للعمل.

ويقول تقرير قام به باحثون عراقيون: ان أزمة المياه لاتتوقف على شحتها فقط، فهناك أزمة أخرى تتعلق بنوعية المياه، فالمياه التي تصل الى المستهلك لا تكون في الأغلب صالحة للشرب، بل وفي كثير من الأحيان تكون ملوثة، وهذه مشكلة أخرى تتعلق بحياة المواطن العراقي.

ويعزو الباحثون تلوث المياه الى عدة أسباب منها ما أورده تقرير مهم الى وزارة الصحة العراقية وهي:

- قدم شبكات نقل المياه ووجود اعطاب فيها، وهو ما يؤدي الى انتقال الملوثات اليها وحدوث التلوث البكتيريولوجي، وتحدث تلك الاعطاب نتيجة لتخلخل الضغط داخل الانابيب التي ينقطع عنها الماء، وكذلك عدم توفر الكلور بكمية تغطي الحاجة الفعلية اليه، اضافة لعدم توفر الاجهزة اللازمة لتنقية المياه. هذا من جانب، ومن جانب اخر فان البيئة العراقية كتربة وهواء ومياه هي ملوثة، فثلاث حروب مدمرة استهدفت البيئة العراقية كان لها الاثر البالغ في تلوث المياه.

مخلفات المستشفيات تلوث المياه

وفي احداث دراسة علمية اعدها باحثون عراقيون في جامعة بغداد اثبتت ان المستشفيات اصبحت من اهم مصادر تلوث المياه في العراق، فمن مجموع ١٢٦ مستشفى في العراق يضم ٢٥ منها فقط وحدات لمعالجة المياه ويرتبط ٣٣ مستشفى منها فقط بشبكة مجاري المياه، اما باقي المستشفيات فلا يتوفر فيها أي شكل من اشكال صرف المياه وتصرف في الغالب الى نهري دجلة والفرات والانهار الاخرى.

وتؤكد تقارير لوزارة الصحة ان هناك ما يتراوح بين ٢٥٠ -٣٠٠ طن من المياه الصلبة غير المعالجة تصرف الى مياه الانهار بصورة يومية لدرجة ان بعض مياه الانهار تغير لونها الى الخضرة او الزرقة الداكنة جراء ارتفاع نسبة التلوث، مع التذكير بان مياه الانهار هي المصدر الرئيس لمياه الشرب في العراق وان ارتفاع نسبة التلوث فيها يجعل من الصعوبة معالجتها وتحويلها الى مياه صالحة للشرب.

مراقبة نوعية المياه

يقول السيد جبار عبد زايد مدير قسم المياه في وزارة البيئة ان المهام الملقاة على عاتق وزارتنا في حماية المصادر المائية من التلوث الناتج عن الانشطة الصناعية والخدمية المختلفة، يدفع بالوزارة الى القيام بمهام رقابية واستشارية وبالعمل الجاد على مراقبة مصادر المياه من التلوث، وقد اشرت الوزارة بالفعل ومن خلال الزيارات المتعددة الى مناطق مختلفة وحتى الى الاحياء الشعبية مثل الحسينية والعبيدي ومدينة الصدر وجود تلوث في هذه المناطق، وحددت الوزارة اسباب هذا التلوث وقامت بالفعل بمخاطبة الدوائر البلدية والصحية المعنية بهذا الامر.. وهناك بالفعل اسباب كثيرة لم تجر معالجتها بشكل جذري. تتعلق بتلوث مياه الانهار وتكسر انابيب توزيع المياه غيرها.

أسألوا الحكومة!

وسألنا معاون مدير دائرة ماء بغداد عن مشروع ماء الرصافة الذي عد من اكبر المشاريع في مجال زيادة انتاج الماء، وهذا المشروع هو الوحيد القادر على حل ازمة شحة المياه بصورة جذرية، فقال: هذا المشروع تم إعداد تصميمه الأساس منذ عام ١٩٩٠ وبقي يقبع في اضابير الامانة، والحقيقة ان هذا المشروع مشروع ضخم جداً ويحتاج الى تخصيصات مالية ضخمة وشركات منفذة ذات امكانات وقدرات فنية عالية. وعندما سألت معاون مدير ماء بغداد عن كلفة هذا المشروع قال: لا استطيع تحديدها بالضبط ولكن يحتاج الى مبالغ ضخمة تصل الى المليارات.

وعندما قلت لمعاون مدير بغداد وهل في النية البدء بهذا المشروع، وهل بامكانه ان يقدر لي مبلغ الكلفة تقريباً؟ قال.. لا استطيع.. اسألوا الحكومة..واضاف: ان المشروع يحتاج الى سنوات طويلة من العمل كي يتم إنجازه والى ان تنفض الحكومة الغبار عن ملف مشروع ماء الرصافة وتضعه موضع التنفيذ والى حين ينتهي إنجازه ستبقى أزمة شحة المياه.. ويبقى الامل الوحيد في تخفيضها عبر مشاريع مجمعات صغيرة مازالت هي الأخرى تراوح في مكانها.. وستبقى أزمة شحة المياه.. حكاية كل صيف!

الامريكان امسكوا بملف مشاريع إنتاج المياه إشرافا وتمويلاً وتنفيذاً والأمانة تكتفي بتقديم الاستشارة والمراقبة

مدير عام دائرة بغداد: نحن متخلفون في مجال مشاريع المياه وكوادرنا غير مؤهلة

الانتاج الحالي للماء الصالح للشرب يغطي ٦٥٪ من حاجة الاستهلاك الفعلي لسكان مدينة بغداد

مخلفات المستشفيات ومياه المجاري غير المعالجة أهم مصادر تلوث المياه

امانة بغداد ترسل الصهاريج للمناطق الشحيحة بالمياه والرجال والنسوة والاطفال يتصارعون للحصول عليه

مدينة الصدر تعيش أزمة حقيقية في الشحة والتلوث